

مناقشات

الاستنتاجات الخاطئة في الاغلاط الشائعة

بقلم عبدالله نيازي

جملته يقف من كل تلك التناقضات التي يحيها مجتمعه موقفا متحديا نوريا الى حد ما .. فبدأ اول ما بدأ يعي كيانه ويعي ذاته ، ويدرك انه كان حي له الحق في ان يحيا الحياة الحرة الكريمة ، وبما انه يعيش وسط مجموعة من البشر تربطه بهم روابط تاريخية وحياتية كثيرة متداخلة ومتشابكة لا تنفصل ولا تنفصم ، تقاسي نفس الانسحاق الوجودي الذي يقاسيه وتعاني ذات المصير المشترك ، فقد ربط مصيره بمصيرها واندفع متحديا للظلم والظيآن والارهاب .. وليس هنا مجال للبحث في مدى شمول هذا الوعي وعمقه ، ولكن البداية الصميية ذات الاسس القوية والجذور السليمة تؤدي حتما الى النهاية الطبيعية المرتقبة ..

فالغرد العربي اذا بدأ يعي ذاته ويعي وجوده فانفض ليحقق كيانه .. فما هو دور الاديب او الشاعر او الفنان في هذا الزخم من الوعي الوليد؟ .. هل يقف امام هذه الاحداث الضخمة المتلاحقة والوعي المتنامي لا اباليا انزاليا وكان الامر لا يعنيه ام انه يدرك واجبه كإنسان يتمتع بمقدار كبير من الاحساس والثقافة فيتقدم ليأخذ دوره ويشارك الجموع الزاحفة نحو النور مصيرها المشترك الواحد؟ .. فيعمل على ازالة ما تراكم على الذات العربية من صدا الصفه بها واقع فاسد وماض مشوه ، ويسهم في البناء الذي يحتمه عليه كل شيء فيه وحوله .. هل يفعل ما ينبغي عليه ان يفعل كغرد قيادي يتمتع بقدر كبير من الثروة الذهنية والنفسية فيسهم مع الشعب في معركة الكبرى ضد الفساد والظيآن والارهاب والكبت والتناقض الطبقي والاجتماعي والسيطرة الاحتكارية والاستعمارية والتجزئة المفروضة على وطنه العربي ام يظل على خدره اللذيذ في دورانه حول نفسه وذاته؟! .. اجل ، لقد وجد بعض الافراد من الابداء انفسهم فجأة امام هذا الزخم من الاحداث الضخمة المتلاحقة فافتروهم الرجفة وما عادوا يدرون اي شيء يصنعون .. أظلون غارقين في اجوائهم الضبابية التي صنعوها لانفسهم وتساؤميتهم التي استقوها من ذواتهم ، ام يندفعون ليأخذوا مكانهم في البناء ويؤثروا الحقد القديس في الجموع الثائرة على كل ما هو فاسد لا انساني؟ .. ان لزغردة البلابل جمالا ، وللعمان النجوم جمالا ، ولكن البناء ايضا جمال ، ومشاركة الجموع مسيرتها الكبرى نحو الخير والحق جمال اكبر ، فماذا يفعلون؟ ..

لقد وقع بعضهم في تناقض نفسي كبير فلم يعودوا يدرون معه اي شيء يصنعون ، فلا هم يملكون الثروة الذهنية العميقة ولا الاستعداد النفسي حتى يواجهوا هذا الزخم من الوعي القومي الجارف ، ولا هم يرتدون جلودا غير جلودهم ويكتبون عن الوعي العربي والكيان العربي كتابات هابطة كل سطر فيها يصرخ بالكذب والتزوير الصارخ لمتقصد لا يحس به قائله ولا يشعر به اطلاقا . في حين انطلقت الطليعة الثورية تعمق بكل ما لديها من عطاء وقابليات وخصب وتحرق وتمزق نضال هذه الامة وترسم للجموع الزاحفة الى هدفها الكبير طريقها الشاق الطويل ..



وبعد ، فلست ادري اذا كانت هذه المقدمة السريعة المختزلة للواقع الذي كنا نعيشه وواقع الاديب بالذات تصحح ان تكون بدءا للتساؤل فتقول : هل ان الشاعرة الفاضلة نازك الملائكة قد التفتت الى هذه النقاط او الى بعضها بشيء من التجرد او انها وضعتها امامها ثم توصلت بعد ذلك كله الى ان التزام الاديب او الشاعر او الفنان لقضايا مجتمعه ووطنه والانسانية جمعاء وتبني هذه القضايا جميعها على نحو

لم يكن الوعي القومي قبل اكثر من عشر سنوات خلت على ما هو عليه اليوم من استقطاب وتبلور وشمول ، وليس من شك في ان الفرد العربي نتيجة لوجوده وسط مجتمع متفسخ الى حد التهزؤ ومخدر برواسب ضخمة من التناقضات العميقة ومكبل بعادات وقيم فرضت عليه من الخارج فرضا ، اقول كان الفرد العربي نتيجة لهذا كله يحيا حياة غقيمة ، فارغة الى ابعد حدود الفراغ ، انكاليا في اكثر اعماله ، لا اباليا في اغلب تصرفاته ، انزاليا لا يحس بالمسؤولية ولا يشعر بها ولا يدرك ان عليه دورا او واجبا يقوم به تجاه نفسه وتجاه مجتمعه .. وما من شك في ان اسباب كل هذا الزكام من الفساد والتفسخ والتناقض والرواسب تعود الى اكثر من خمسة قرون مضت وما رافقها من احوال انصبت على الوطن العربي كله فمزقته على النحو الذي وراثناه ، ومزقت الفرد العربي وجعلته اشبه ما يكون بالنسخ الذي لا يعي ذاته ولا يحس بوجوده .. ولعل ابرز شيء يعزى اليه تقويض الشخصية العربية وامانة الروح الانسانية فيها هو دور التوجيه الاستعماري في ذلك بشكله الظاهر والباطن .. فقد كانت اولى خطط الاستعمار واهمها تركيزا ابعاد الفرد العربي عن التحسس بقضاياها العامة ، وامانة الوعي القومي لديه وتجريده عن الروح العربية الاصيلة او مسخها على الاقل ، وتحطيم كيانه النفسي لكي ينمو الفرد على النحو الذي يراد له ان ينمو ، ضعيف الكيان ، هزيل الشخصية ، فاقصد الاحساس ، محطم النفس ، مضطرب الذهن ، غير مكترث لواقع مجتمعه الفارق في البؤس والشقاء ، وغير ملتفت لعملية الهدم التي تسري في كيان وطنه العربي كله ، ولا لاي شيء اخر سوى ان يدور في دائرة تضيق ثم تضيق دون ان يدري لماذا! .. لا يهمه شيء سوى ان يحقق نوازه الذائبة المغلفة ويرضي شهواته البدائية سواء كان ذلك على حساب مجتمعه او حساب وطنه ، لا يهمه ذلك بقدر ما يهمه تحقيق مآربه المتفسخة ..

وبما ان الاديب او الشاعر او الفنان هم افراد من هذا المجتمع لا يمكن بحال ان ينفصلوا عنه او يورثوا اشياء غير موجودة ، لذلك فقد كانوا يعيشون تناقض مجتمعهم بكل صوره وألوانه ، او انهم ، بصورة ادق ، قد فتحوا عيونهم على مثل هذه التناقضات الضخمة والقيم المتآكلة العفنة . والانقسام الكبير في كل شيء فاصبوا بما يشبه التساؤم من كل ما يجري ويقع ، والسخط على كل ما يجري ويقع .. ونتيجة للفراغ العقائدي الفكري الذي كان يسود الوطن العربي كله آنذاك ، اللهم سوى نداءات ضعيفة كانت تنبعث بين الحين والحين منذرة محذرة ولكنها لم تكن تملك القوة الكافية لاحداث الرجعة المطلوبة، فقد اتمشوا على انفسهم وانقلقوا على ذواتهم يستمدون منها رؤى ضبابية واخيلة مبهمة لا تعبر عن واقع ولا تفصح عن كيان ، في حين اندفع البعض الآخر، وقد استنطع بانزاليته الكبيرة عن واقعه ومجتمعه ان يكتب ادبا صرفا منبعه اللجين الذي يسيل من القمر كالفضة وزغردات البلابل العذبة في السحر ، وهمسات القبل بين اغصان الياسمين .. فكانت المعارك الادبية (العنيفة) التي تنشب آنذاك تدور في احسن الاحوال حول ايها ابلغ تشبيها : القمر المثقل بحمولة العنبر، ام الاسياف التي هي ليل تنهاى كواكبها ..

ثم ان تلك النداءات بدأت تتعالى رويدا رويدا في الوطن العربي كله ، نداءات قوية صريحة جريئة تحاول بكل ما لديها من تمرد وثورية ان تملأ ذلك الفراغ الرهيب الذي يشكو منه الفرد العربي فتعيد له كيانه وشخصيته وذاته .. ثم بدأت الاحداث تتتابع على الوطن العربي، احداث ضخمة وهائلة كانت بمثابة الهزة العنيفة للفرد العربي ، هزة

متكامل لا تنفصل عن كيانه ووجوده دعوة منحلثة منشؤها شيوعي روجها
كثير من القوميين ببراءة وحسن نية ؟..

لقد كنت اخمن وانا افرا مقال الشاعرة الفاضلة انها ستتناول
بشيء من التفصيل الواقع المؤلم الذي نعيشه ودور الاديبي في الاتارة
والقيادة والبناء ، ولكن لم اجد سوى بعض الاستنتاجات الخاطئة
لقوميات هزيلة لست ادري كيف توصلت اليها الشاعرة الفاضلة ..
ذلك لانها تعلم تماما دور افلام كثيرة سواء كانت شرقية ام غربية ، لعبت
دورا كبيرا ويكاد يكون رئيسيا في التخلص من ظلم كبير وطفيان رهيب
وعبودية شنيعة كانت تسيطر على وطنهم وشعبهم وذلك قبل ان يكون
للشيوعية كيان ، فهل يصح ان نقول عن اولئك المفكرين العظام الذين
استطاعوا بما لديهم من امكانيات ذهنية كبيرة وطاقات ثورية عظيمة ان
يلتزموا قضايا امتهم ووطنهم ويقسودوا شعبهم الى الثورة والتمرد
والانطلاق ، انهم منحطون يكتبون ادبا هابطا ؟

ثم ، اذا اردنا ان نأخذ الموضوع بشيء من التجرد ، فكيف نستطيع
ان نضم ادبيا يلتزم قضايا معينة قد تكون اخلاقية او حيائية او حتى
جمالية صرفة انه اديب منحط يكتب ادبا هابطا ؟

ان الدخول في مثل هذه الناحية من الموضوع قد يفودنا الى بحث
ذهني فتتوصل بعد تدليلات كثيرة ان اصرار الاديبي في ان يلتزم اي
نوع من المشاكل المطروحة او القضايا العامة وفي ان يبقى حرا حربه
مطلقة هو بعد ذاته التزام .. وهل تستطيع الشاعرة نفسها ان تنكر
انها تقني بلون واحد من الشعر ؟ ثم هل تستطيع الشاعرة ان تكتب
ادبا لا اخلاقيا ؟ بالتأكيد لا .. لماذا ؟.. لانها ترفض الا اخلاقية
وتعتبرها منافية للحياة ، ولكن لماذا تعتبرها كذلك ؟

احسب ان الموضوع من الشمول والعمق بحيث لا يسمح لاي فرد
كان ان يطلق عليه احكاما اعتباطية على النحو الذي وقعت فيه الشاعرة .
وليس هذا فقط ، ففي المقال تناقضات تجعل القارئ يتساءل
بالم اين هي ثقافة الشاعرة الفاضلة التي كان يجدها في اغلب ما تكتب
واين هو تجردها وموضوعيتها ؟.. ذلك لان القارئ يدرك منذ بدنه
قراءة المقال ان الشاعرة تعتمد على افكار ساذجة روجها بعض المهوسين
الذين لا يعتد بهم ولا يمكن ان تتخذ اقوالهم نماذج تقاس عليها .. فهي
تقول مثلا ان من جملة الاغلاط الشائعة في تعريف الادب القومي ان
اغلب كتابنا قد دخل في وهمهم ان الاديبي اذا تناول قضايانا القومية
تناولا مباشرا عدوه ادبيا عربيا واما اذا لم يكتب في تلك (الموضوعات)
فانه في نظرهم ليس ادبيا قوميا .. والخطأ في هذا الاستنتاج انه
ليس صحيحا ان كل من كتب في القضايا القومية عد ادبيا قوميا
يتحسس بعمق قضايانا العامة والخاصة ويعي دوره في تجسيد اماني
امته وامالها في الحياة الحرة الكريمة .. فالاديبي العربي مطالب قبل
كل شيء في الا يقحم نفسه في قضايا لا يحسها ولا يشعر بها اطلاقا ،
والا يضهن نفسه بالمناداة بمبادئ لا يؤمن بها ، فالذات العربية النقية
ليست بحاجة الى مزود او دجال او مرتزق يتقمص الثوب القومي
لغايات ذنيّة فلديها من روحها العميقة وتراثها الضخم خير معين تمتع
منه ، ولكن الصحيح ، وهو الاستنتاج الذي توصلت اليه الشاعرة
وارادت ان تعيده على نحو معكوس - ان الاديبي غير (العربي) والذي
يكتب في قضايا (معينة) مفروضة ، غريبة ، بغض النظر عن كونه صادقا
او كاذبا ، دجالا او منافقا هو وحده الذي ينظر اليه من قبل (فئة
معينة) على انه اديب اجتماعي .. اما ان يعد كل اديب يكتب في
القضايا القومية اشياء هزيلة كاذبة ، ادبيا قوميا ، فساذجة لم ينسأد
بها سوى اولئك الذين فقدوا توازنهم النفسي والذهني ، وقد اشرنا
الى امثال هؤلاء في غضون هذه الكلمة .. ولكن الشاعرة الفاضلة قد
اتخذت اقوالهم الهزيلة تلك على انها هي السائدة المتمكنة ولست ادري
كيف استطاعت ان تفعل ذلك .

ثم ان الشاعرة سرعان ما تبلغ ، نتيجة لتلك الكتابات الهابطة الى

هذا التساؤل المحر : وهل فقد الاديبي العربي روحه القومية اذا هو
لم يكتب على الاطلاق في قضايانا القومية ؟.. ومن قال انه يفقدها ..
ان الروح العربية لا تفقد اطلاقا ، انها رغم كل الشوائب والمؤثرات
الغريبة تظل في لمعانها واشراقها ، لانها تستمد كل قوتها من روحها
الاصيلة .. ولكن السؤال في رأيي يطرح على هذا النحو : هل بإمكان
الاديبي العربي ، وهو يعيش بكل وجوده وكيانه هذه التجربة الضخمة
التي يمر بها وطننا العربي في انطلاقته الرائعة نحو النور وتوكيد
الشخصية العربية ان يظل في عزلة عن واقع امته ومصير وطنه ؟..
فلا يصل اليه التمرد ولا تعرف الثورة طريقها اليه وكاننا لسنا في
معركة ضارية مع الطواغيت ووحوش المستعمرين ؟!.. اذا استطاع
فهل هو حقا فرد يعيش فوق ارض عربية وانجيته ام ممزقة الاوصال
مطعونة بالف نصل ؟.. اي شيء اكون اذا كانت لا تهزني ولا تشرنني
ولا تحرك فيّ انسانيتي الجرائم البشعة التي يرتكبها الوحش الفرنسي
في الجزائر العربية منذ عام ١٨٢٠ ، والمجازر الرهيبة التي يمارسها
الاستعمار الانكليزي في وطننا العربي كله منذ عشرات السنين حتى
الان ، في حين توظف في كل احاسيسي ومشاعري رؤية كلب مختلط
بدمائه دعسته سيارة في قارعة طريق ؟

ان الانزالية التي تسيطر على بعض الابداء هي ليست وليدة
يوما ، كما انها ليست طارئة . انها نتيجة ذلك الركام الضخم من الظلام
الذي ورتناه ، الاحداث المرعبة التي حاولت ان تقضي على كل ما فينا
من تفتح وانطلاق .. ان معركتنا الان معركة ضارية .. معركة وحشية
بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان . معركة بين الموت والحياة ، بين
الجمود والانطلاق ، بين التجمد على قيم متوارثة دخيلة والتفتح المطلق
على الوجود الرحب .. والاديبي المهرف ذو الاحساس الكبير هو قائد
هذه المعركة ومؤثر اوارها فكيف يتنكر لكل ما هو محاط به ؟!

كم كنت اتمنى لو ان الشاعرة الكبيرة قد تروت قليلا في كتابة

هير وشيما حبيبي ..

مأساة الحرب .. والحب !

قصة رائعة بقلم مارغريت دورا اخرجت في فيلم
ما يزال يثير حتى اليوم ضجة كبيرة في اوساط العالم
ويشهد اقبالا لم تعرفه الا افلام رفيعة نادرة .

ولم يسبق لقصة ان عبرت كهذه القصة تعبيريا
دقيقا رائعا عن الصلة التي تربط بين الحب والحرب
من حيث عنصر الفاجعة .

والواقع ان المؤلفة قد وفقت توفيقا كبيرا في
رسم نفسياتي الرجل الياباني والمرأة الفرنسية اللذين
يعيشان هذه المأساة : مأساة الحرب .. والحب !

منشورات دار الاداب

الثلثون ١٥٠ ق.ل

هذا المقال بالذات ، او في الكتابة عن الوعي القومي ، او في الاشياء التي لا تمسها .. فلو انها ظلت تكتب عن البعد الرابع مثلا ، او عن المعاني الرائعة في الشعر الشعبي لظلت كتاباتها على ذلك المستوى من العمق والموضوعية ، ولكنها شاءت ان تقحم نفسها في اشياء لم تصنها فوفقت في مثل تلك التناقضات الساذجة ، ولعل اجمل تناقضاتها قولها : « لعل اصدق الادب قومية هو الادب الذي لا يدري انه قومي » فمثل هذا الاستنتاج المضحك يقودنا الى ان نقول : ان ميزة الفرد العربي هي انه لا يدري انه عربي ولا يدري بعد ذلك انه يكتب ادبا عربيا .. في مسرحية لمولير يقول احد الاشخاص لآخر هازنا ما معناه : ان الكلام ينقسم الى قسمين شعر ونثر وانت تتكلم النثر ، ففرح صاحبه فرحا عظيما وقال : وهل انا اتكلم النثر منذ اربعين عاما ولا ادري !..

ان قبول فكرة ان اصدق الادب قومية هو الادب الذي لا يدري انه قومي تحمل في غصونها نكتة ضخمة لعل الكتابة الفاضلة لم تقصدها .

ويعد ، فليس هذا كل ما ورد في المقال من استنتاجات خاطئة ولكننا في رأينا قد تعرضنا لاهمها .. ونرجو مخلصين الا تكون قد اغضبنا الشاعرة الكبيرة ، فهي شاعرة ولها مكانتها الرموقة في نفوس الابداء والشعراء العرب ولن يززع مكانتها هذه شيء سواء كتبت شعرا قوميا ام لم تكتب .. ولكن الذي نرجوه منها ومن اولئك الابداء الذين يكتبون في القومية وهم لا يحسونها احساسا قويا صادقا ان يتجنبوا الكتابة فيها . حتى يتم التفاعل العميق والتجاوب الصادق بينهم وبين واقعهم ، وحينذاك فقط سيدركون انهم قد وعوا ذاتهم واصبح لوجودهم في الحياة معنى غير زائف ..

عبد الله نيازي

بغداد

حول فعال « المهزومون ومشكلة التنكيك »

بقلم كمال ابو ديب

في مقابلة صحفية مع هاني الراهب مؤلف « المهزومون » بمناسبة فوز الرواية بجائزة « الاداب » .. تحدثنا عن ابعاد المعالجة الروائية .. حديثا صريحا .. وناقشنا قضية « التنكيك » فيها (1) كما ناقشنا مضامين الرواية بشكل مفصل ، وقد احطت بطرف الرواية احاطة تكاد تكون تامة .. سواء من خلال صداقتي مع هاني .. والاقوات الطويلة التي عشناها سوياً ، او من خلال حياتي مع ابطالها جميعا .. واطلعي التام على اعماقهم النفسية .. ومشاكلهم الحياتية ، التي تغفل فيها المؤلف بعمق ، وكثفتها في روايته « المهزومون » واعتقد بان هذا يسمح لي بان اناقش ناقدا احب ان يكتب عن « المهزومون » في الاداب ويصمها بأشياء تكاد تكون كاشفة لتهمج عميق ولهجة عدائية عنيفة .

قال الناقد : « ان الفكرة الرئيسية التي تدور حولها « المهزومون » هي حب « بشر » « لسحاب » ، ولكننا نظلم هاني الراهب اذا قلنا انه لا يقدم غير هذه الفكرة ، بل ، على العكس ، ان في روايته اشياء كثيرة وقصصا عديدة ، ولكن المهم ان نعلم ما مدى ارتباط هذه الاشياء بالفكرة الرئيسية ومساهمتها العضوية في بناء الرواية » ..

ومن هنا بالذات ينطلق السهم الخاطيء من جعبة الناقد ، ذلك ان تحديده للرواية بهذا الشكل الضيق .. ومحاولته لاستقصاء الافكار والقصص التي يراها ثانوية .. ومحاولته لتبني « مدى ارتباطها بالفكرة الرئيسية ومساهمتها العضوية في الرواية » .. هو ممكن الخطا ...

فالخطا يتبع اولا من تحديده للفكرة الرئيسية « بانها قصة حب بشر لسحاب » .. وهذا ما فاده الى الحكم الخاطيء على الاحداث الاخرى .. حيث رأى ان موت الام ، برغم اعترافه بروعة الفنية ، شيء دخيل على الرواية .. وغير نافع للبناء العضوي بل ومضر لانه يكشف ، لصدقه الحار ، افتعال المواقف الاخرى ..

ف « المهزومون » ليست ، كما فهم الناقد قصة حب بشر وسحاب .. بل ليست هذه الفكرة الرئيسية فيها .. انها قصة جيل كامل .. جيل رافض ، حمل صليبه وهو واثق من ان رفضه سيجمع منه جيل الذبيحة .. وهو واثق من رفضه سوف يصطدم بموروثات اجيال السكاري .. وسوف يؤدي بالتالي الى صراع عنيف يابى هو فيه ان يستسلم ويتراجع ويابى المجتمع الذي ينخر فيه الدود وموروثات العفونة ان يعترف له بقيمة رفضه .. ثم هي قصة هزيمة هذا الجيل ، هزيمته « التي ليست هي الا نتيجة للانحزام الاول بينه وبين مجتمعه وبين طبيعته التي رساها فيه هذا المجتمع ، وبين ذلك الفراغ العقلي الذي يشمر به بعد فقد ايمانه ، فالانحزام ، خصوصا انحزام بشر ، كان نتيجة لمحاولته خلق مفاهيم جديدة للقيم السابقة ، لمحاولته اعطاء كل حادثة قيمة تتماشى مع فريده وكونه جديدا » انها « قصة شباب يشعرون بانهم مجردون عن قضية يحملونها ، وانهم في هذا السن الوئابل « وهم شباب جامعة » مطلوب منهم ان يكونوا بلا عمل يقومون به ، لذلك حاولوا كسر الطوق الاجتماعي والسياسي الذي ضرب حولهم ، ليطردوا عنهم ذلك الهرم النفسي الذي ابتدا يأخذ بتلابيبهم » ..

هكذا نكون قد انكرنا ان الفكرة الرئيسية هي حب (بشر وسحاب) وتكون قد تخلصنا من الخطا الفاحش الذي وقع فيه الناقد ، اذا انه بهذا يحكم على الرواية كلها بالفشل .. حين يحاول ان يجد « مدى تفضية الحوادث كلها للفكرة الرئيسية » .. وهو لن يجد شيئا ، لانه اخذ الفكرة الرئيسية وحددها بشكل خاطيء .. اذ في هذه الحالة ما هي قيمة حب (فايز لواحة) او (واحة لبشر) او لماذا يتدخل دريد وصالح في القصة او ما هو السبب الذي من اجله ادخلنا ملك وهلال فيها ؟ كل هذه الاشياء لا يبقى لها لزوم في حالة كون الفكرة الرئيسية قصة حب « بشر وسحاب » ..

اذن حب « بشر وسحاب » لم يكن الا احدي الزوايا التي حاول هاني ان يعبر بها عن قصته ، عن فكرته الرئيسية التي شرحناها سابقا .. والمأخوذة من كلام هاني بالذات لي ، وهي تماما ، مع تفاوت في القيمة ، زاوية تعبيرية مثل قصة فايز وواحة ، وواحة وبشر ، وصالح ودريد وغيداء ، وهاني - بشر واخوته وموت امه .. ان كل حدث من هذه الاحداث يشكل زاوية التقاط تعبيرية تزيد من قيمة القصة وتزيد في كشف اعماق الابطال .. مثلا، لناخذ قصة الام التي راها الناقد، زيادة لا لزوم لها .. انه ببساطة يستطيع ان يكتشف ان قيمتها تنبع من رد الفعل العنيف الذي أحدثته في نفس البطل .. انه يستطيع، بعد ان يفهم ان الرواية ليست رواية « حادثة » بقدر ما هي رواية « شخصية » ان يرى لموت الام قيمة في الكشف عن اعماق واحة حينما تموت ، ويكون قد اخبرها بأنه دفن امه في التلة الشرقية الباردة ، رمز البطولات والنقاء ، فتوصي هي بان تدفن في التلة الشرقية الباردة ، هذا بالرغم من ان موت الام سابق لموت واحة .. (1) الشيء الثاني الذي تناقش هو وقوع الرواية في الذهنية التجريدية ..

قال الناقد عن شخصية سحاب ، مستشهدا على وقوع الرواية في الذهنية التجريدية « انها شاحبة الى حد مريع ، اننا لا نعلم شيئا عنها من حياتها هي وتصرفاتها هي . كل ما نعلمه عنها يأتي من خلال اذهان الابطال الاخرين ، او من خلال المناقشات القديمة الباردة ، او

(1) راجع مقال حيدر حيدر « موت الام » في نفس العدد

(1) راجع مجلة « المعارف » العدد الثاني شباط 1961

من خلال الالسنه التي تريد ان تنال من سمعتها ، اي انها لا تتكشف لنا من خلال الحدث بل من خلال الحوار ، والحوار الفكري الصرف ، اتنا نعرف افكارها مثلا من خلال المناقشة التي جرت بين طلاب الجامعة في قاعة الموسيقى حول الخجل في علاقات الجامعيين» ..

ونحن نسأل الناقد ما هو « التصرف » بالنسبة للشخصية القصصية .. أليس الحوار « تصرفا » ، أليست الحركة « تصرفا » ، أليس لقاءهما في المكتبة والصف وغرفته، وعلى ضفة النهر، ومناقشاتهما ودعوته لها إلى الحفلة ، وذهابها إلى مصر ، وتجولها هناك ، أليست كل هذه الأشياء من تصرفاتها هي؟! .. اذا كان نسم .. فكيف يقول انها لا تتكشف من خلال « تصرفاتها » هي؟! .. ثم هل يعني ان الرسم بالحوار عيب في القصة؟! .. ثم يذكر خطبتهما الطويلة ويقول .. انا اعلم ان مثل هذه الخطبة الطويلة لا تكفي وحدها دليلا على ذهنية الرواية ، ولكن الشخصية الروائية تقع في الذهنية والتجريد عندما لا يكون لدى الكاتب من وسائل يقدمها بها ليينا غير هذه الخطب؟! .. ترى ألا يتناقض مع نفسه هنا؟! .. يقل هنا « ان ليس لدى الكاتب وسيلة الا هذه «الخطب» بينما قال سابقا « انها تتكشف لنا من خلال اذهان الابطال الاخرين او من خلال المناقشات الفكرية الباردة، او من خلال الالسنه التي تريد ان تنال من سمعتها » .. ترى أليست هذه « وسائل اخرى غير الخطب ، يملكها هاني لكشف شخصية سحاب» ثم أليست تصرفات سحاب في الصف ، وطلب المحاضرات ، وموقفها عند حضور ابن خالتها ، وتلقيها لاحتوائه فخذها بين فخذيه (وتصرفاتها) التي عدناها سابقا .. كسفا لخطا الناقد في ادعائه بان الكاتب لا يملك غير هذه الخطب ليكشف لنا الشخصية ، ثم أليس نفيانا لرأيه وانباتنا بأنه يملك وسائل غير الخطب ، نفيانا لرأيه بانها وقعت في الذهنية لانه هو يقول « ان الشخصية تقع في الذهنية حين لا يكون لدى الكاتب من وسائل غير الخطب يكشفها بها لنا » ..

ثم هل لنا ان نسأله لماذا اثبت الخطبة بهذا الشكل مع انها منقطعة .. وغير متصلة هكذا في الرواية؟! .. ثم لماذا لم يتحدث عن جو الخطبة .. حيث كانت سحاب سكرانة .. ومن المفروض فيها ان تنطلق وتثور بهذا الشكل العنيف لتحاول ان تنفس عن صدرها ، ولتبرر الف موقف لها بالنسبة لبشر؟! ..

اما قوله عن امتداد الذهنية الى المواقف من الشخصية ، واستشهاده بتقيؤ بشر في حفلة المولد فانا لا نستطيع ان أفهم كيف فصل بين «بشر» الشخصية في الموقف وبين الموقف .. اما استغرابه لتقيؤ بشر فلان اجيب عليه لانني استغرب كيف ان الناقد لا يدرك بان وراء تقيؤ البطل هنا عشرين عاما من حياة وتطورات واحداث وكفر وايمان ومقت لرجال الدين وحركاتهم وهيئتهم المزرية في موقف كهذا .. وانه ليس وليد قراءة لسارتر او كولن ويلسون .. او لانه « اراد ان يدين هذا النوع من الحفلات » ذلك لان وصفه للحفلة ولرجال الدين كان كافيا ، بعد ذاته لادانتنا بل كافيا ليجعل القارئ يتقيا ، استغرب كيف لم يدرك جورج طرابيشي ان وراء «غثيان» عمرا كاملا لشباب ملحد، منطور ، جامعي ، شاك في كل شيء، متمزق، عائب، نائر على موروثات اجيال السكاري ، والدين ، والشيوخ ، شاب يأتي الى حفلة المولد ليجد « تلوي البطن والرغوة والسكر و...!!.. » ثم لا يتقيا ، غريب.. اما عن رأيه في ان ازمة بشر ازمة جنسية قبل كل شيء .. فيكفي ان اقول له انه اجرم بحق « المهزومون » وبحق جيلنا بأكمله .. لان ازمنا يا عزيزي ليست ازمة جنسية بقدر ما هي ازمة وجود ضائع .. وشباب بلا قضية .. ولا نبي جديد .. ولا ايمان .. ولا قيم انسانية ولا مجتمع يفهم ازمنا الحقيقية ، او يقدر بانها ليست ازمة جنسية فحسب ..

ثم كان ينتفي لدى الناقد شيثان هما ذهنية الرواية « في رفضه لامتلاك جسد ثريا» و« كون ازمته ازمة جنسية » لو لاحظ انه كان

يشعر مع ثريا بنوع من الشعور الانساني الذي يخلفه فيه كونها اصبحتنا عادية ، عنده شيئا لازما لحياته ، تفسل، تكوي، تطبخ، تحن عليه، تحقق له اطمئنانا نفسيا طيبا ، ثم صاحبة مشكلة بنفسها من حقدته على المجتمع الذي هو نائر عليه والذي هو خالق مشكلتها ، وهكذا ، لو لاحظ انه لم يملكها الا عندما سكر وشرب نبيدا وجوزا .. لفهم أشياء كثيرة ثم كيف يكون بشر في جميع موافقه حريصا على ان يظهر بمظهر الانسان الاخلاقي الذي لا تعيبه سائنة ، كما قال الناقد وهو الانسان الراضى الذي يقول « ان كل القيم تتبع عني انا ، » والذي يقول « ان الزنا في رأيي لا يشكل تلك الجريمة الاخلاقية ، بل هو نوع من الاستجابة الانسانية اذا صدر عن ارادة المشتركين به ، ولا يعد جريمة ساعتها لان كل ما هو في طبيعة الانسان قانون .. » كيف يحدث ما قاله الناقد ، وهو - بشر - الانسان الذي يتزوج من مطلقة ، (عاهرة) في عرف المجتمع .. ثم امام من يحرض على الظهور بمظهر الانسان الاخلاقي ما دام يرى ان المجتمع صفر؟! ..

يبقى شيء مهم اخيرا .. هو نفي الناقد لصفة الواقعية في الرواية بل وتجهيله للكاتب بهذا المبدأ .. وردا على كل ما قاله في هذه الفقرة اقول له :

حول رفضك لقبول شخصية ملك التي تتحدث مع « سلفها » بتلك الطريقة انصحك بان تأتي لتميش مع براءة الناس الطيبين وشرفهم في القرية .. وانا اكتب اليك الان من قرية انا ابنتها .. واسمح لي ان اقول انني خبير اكثر منك .. بها .. وان استنكارك لها يصح تماما في قولك « انها لا وجود لها في عالم دمشق » .. وهذا صحيح لانك انت سابقا استغربت وجود نوع من الشعور الانساني في علاقته بثريا ورفضه لتملك جسدها هي ولسحاب وواحة .. وانت من عالم دمشق بالذات! ..

كمال ابو ديب - صافينا

عدد « الاداب » الممتاز

تقدم « الاداب » في مطلع العام القادم ، ١٩٦٢ ، على مالوف عاداتها كل سنة ، عددا ممتازا في موضوع :

اتجاهات الفلسفة في الأدب المعاصر

وسيكون حافلا بالدراسات العميقة التي تتناول بحث مختلف النزعات الفلسفية كما تظهر في الآثار المعاصرة للاداب العالمية .

حول مقال «من المأساة الى الملحمة»

بقلم حسين علي صعب

والريح « دون تعمق وجهد ، ففي - البحار والدرويش - لم يكتشف تمزق ذاتية الشاعر من خلال طرحه لمشكلة التناقض الكائن في القيم بين الشرق والغرب . فالبحار يمثل الإنسان القوي المفاخر بحياته في سبيل اكتشاف المجهول والحصول على المعرفة العلمية :

بعد ان عانى دوار البحر
والضوء المداجي عبر عنفات الطريق
ومدى المجهول يشق عن المجهول عن موت محيق
نشر الاكفان زرقا للفريق .

والشرق المستغرق في روحانيته يتمثل في الدرويش الغائب عن حسه في حلقات الذكر . هذا الدرويش الزاهد الفانع الكسول يفني حياته في العبادات والتصوف الفضي الى معرفة دينية لايمانه الطاق بان الحضارات مصيرها الزوال .

دوختهم حلقات الذكر فاجتازوا الحياة
حلقات حلقات
حول درويش عتيق
شرشت رجلاه في الوحل وبات
ساكنا يمتص ما تنصحه الارض الموات

وبعد ان يحط البحار في ارض الشرق ، ارض الاساطير والحانات والنخيل ، ارض الرطوبة والراحة المخدرة للاحساس ، يسأل الدرويش عما اكتسبه من تحديقه الموجل في سجن الفيب :

- هات خبر عن كنوز سموت
عينيك في الفيب العميق .

فيجيبه الدرويش بانه فابع في مطرحة ، وبان حضارته ليست سوى فورة طين سيظمرها الزمن كما طمر غيرها من الحضارات :
- فورة في الطين من آن لآن
فورة كانت اثينا ثم روما ..

ثم لا يلبث البحار ان يتركه في جموده يتمضغ احلامه وصلاته ويبحر يائسا . ولكن ابحاره ، هذه المرة ، ليس وليد الرغبة في فض حجب المجهول وانما هو هرب من مواجهة العيب : فالمنارات اطفئت والاضواء ماتت ورغم هذا كله سيظل يكافح في ظلمة الوجود من غير غاية بطولية او دينية .

مجر ماتت بعينيه منارات الطريق
مات ذلك الضوء في عينيه مات
لا البطولات تنجيه ولا ذل الصلاة .

هنا تتور مأساة الشاعر النفسية وتبلغ ذروتها ، لضياعه بين متناقضات الكون من معطيات العقل المادية ورؤى الروح الوهمية . ايها يختار بعد ان تبدى له مصيره المعتم برطوبته وتحجره ، وبعد ان تأكد من زواله الحتمي لكونه انسانا واعيا يمر في الوجود ثم لا يلبث ان يعود الى عناصره الاولى . . انه التمزق الدامي بين الرفض والاختيار عاناه الشاعر في قصيدة البحار والدرويش ثم وجد طريق الخلاص منه، بعد تنكره للعقل ، في الفريزة اللاعاقلة القادرة وحدها على خلق رجال اقوياء الصلب نسلا لا يبيد يحيلون الجذب الى خضب ممرع والعممة الصفيقة الى اشراق دافق يتنشل الشاعر من وحدته وظلمة حيرته . وفي قصيدة - الناي والريح - يعاني الشاعر تجربة الصراع الحثمد بين العاطفة المنسابة في شحوب وحزن من انين الناي ، والعقل الهائج في ثورة الريح . هنا في صراع الذات مع نفسها يلجا الشاعر الى الشعر كوسيلة للخلاص والنجاة .

حسين علي صعب

بنت جليل

استهل الاستاذ جورج طرايشي دراسته عن شعر خليل حاوي بالبحث عن اسباب الغموض في الشعر الحديث وخاصة شعر الشاعر فقرر : « غموض شعر خليل راجع الى انه لا يستطيع ان ينظر الى الاشياء الا بدهشة ، لانه كشاعر لا يستطيع الا ان يفترض نفسه انه يراها للمرة الاولى . . هذا الغموض يرجع الى سبب داخلي ، سبب مرتبط بطبيعة الرؤيا عند الشاعر المصاصر هذه الرؤيا التي تعتبر مفامرة .»

ولست ادري لم لم يبحث الناقد عن جذور هذه الرؤيا لدى الشاعر وعن التربية الثقافية النفسية التي تغذيها وتمنحها حدودها وابعادها . هذه الثقافة المنصهرة في ذاتيته هي التي جعلته ينظر الى الاشياء ، لا بعين الدهشة وكأنه لم يرها من قبل كما يزعم ، بل بعين حولتها تلك الرؤيا الى عدسة رجراجة ليس بإمكانها ان تنقل ، في حالة الانفعال الداخلي ، صور الاشياء كما هي في وجودها الحسي الجامد باطرافها وملامحها ، بل في وجودها النسبي . ولولا ثقافة خليل واندماجها في تجربته الوجودية - نهر الرماد - الناي والريح ، لما رافقته حيرته القاسية الناتجة عن وعيه العميق للكون والمصير فيما يحاول ، في صراعه مع الوجود ، ان يحدد قيمة تراتح اليها ذاته الباحثة عن هويتها . ان اختلاف نظراتنا الى الحياة راجع الى النوافذ التي يفتحها وعينا لنظن منها على الكون ، هذا الوعي الذي يستمد قدرته من ثقافتنا المنحلة في مناخنا النفسي .

وقد اكتفى الكاتب بتحليل بعض قصائد « نهر الرماد والنساي

صدر

الجزء الثالث من

مجموعة التشريع اللبناني

توزيع مكتبات انطوان

هذا التجريح . . .

بقلم حسب الله الحاج يوسف

قرأت بألم في عدد الآداب الغائت ردا جامحا موجزا ، كتبه الاستاذ ايليا الحاوي متهما الدكتور احسان عباس ، بشتى النهم . رافضا مقاييسه التي يقول عنها انها « عمودية متعفنة ولهجتها تفتقر الى كثير من التواضع ومعرفة قدر النفس . » .

اني كقارئ لمجلة « الآداب » منذ نشوئها اعرف جيدا ان قراءها ان لم يستطع بعضهم تحريك القلم وسكب افكاره على الورق ، فانهم رغم ذلك واعون ، ويبيدون عن منطقة الضميمة . انهم يميزون الجيد من الرديء ، ويعرفون مكانة كل كاتب ، بحكم النوعية التي اكتسبوها من صداقتهم لهذه المجلة .

ان الاستاذ ايليا الحاوي ، مع احترامنا واعجابنا - كقراء - لما يكتب وينشر من بحوث نقدية لها ميزتها وطريقتها قد اسرف كثيرا في كلمته هذه القصيرة ، في ظلم الدكتور احسان عباس . لماذا ؟ لان الاستاذ احسان لم يوافق في نقده لشعر نزار القباني ، والذي رده الدكتور سهيل ادريس « الى رأي خاص » من آراء الناقد ذاته . . . فلماذا يقرر الاستاذ ايليا ويدين وينهم ويدفع الآخرين ، ويشور ويعرصد عندما يعارضه اي كاتب . . . وكاتب معروف بالامانة والاتزان ؟!

اننا نذكر جيدا ان الاستاذ احسان حينما قال في العدد السابع (تموز) من السنة السابعة للآداب ، في سياق نقده للشعر : « ارجو الا يكون الدكتور سهيل ادريس قد اخطأ حين وكل الي قراءة هذا العدد » نذكر ان المجلة قال محررها في هامش ذلك النقد « تمنى رئاسة التحرير ان يتولى مراجعة الاعداد دائما امثال الدكتور عباس من النقاد والدارسين المتمقين . « الآداب » » .

ان هذه الشهادة من الآداب تعتبر بمثابة قرار محكم ضد الذين ينقدون ، ويقهون نتاج الآخرين بلهجة ساخرة ، وفي نفس الوقت يرفضون هم ان يتعرض احد الي ما يكتبون .

ومع ذلك يقول الاستاذ ايليا حاوي : « لقد انفت ان اتوقع مع الدكتور واتكلف بالرد عليه؟ فاي خير يرجي من التصدي لناقد لا موضوعي ينصب نفسه قاضيا للموضوعية ، ولا يخرج من التصريح بعد سنتين من الدرس والتدريس ، بان الشعر . . الخ »

فاي الرايين نعلم : رأي مجلة الآداب التي تفتربان يراجعها امثال الدكتور احسان عباس من النقاد الدارسين المتمقين ، أم رأي الاستاذ ايليا الحاوي ؟

والاستاذ ايليا غفر الله له رغم انه انف كما يقول عن مواقعة الدكتور ، وانه يعف عن الرد والمناظرة لانهما - كما ذكر - يؤديان في النهاية الى التجريح ، وما الي ذلك مما لا يسيفه ، الا انه رجوع في نهاية كلمته ونقص الانفة والتعفف مبررا ذلك بقوله : « وانما اردت ان اشير هذه الاشارة ليدرك القراء في اية هاوية يتردى اولئك الذين افادوا من غفلة الشعب ، لينصبوا انفسهم اوصياء على الشعر والنقد ، جميعا ، وهم في عالم الادب العربي من طبول تطن وصنوج ترن ، ولا فضيلة لهم الا التمرس بتحقيق الاوراق الصفراء ورصد الاذبال والحواشي ، وتاليف الكتب النهوبة عن النقاد الاجانب ! »

فانظروا يا قراء الآداب الي هذه الانفة ، والعفة والسمو الخلفي ! اننا يا استاذ ايليا من قراء هذه المجلة ، ونفخر باننا عاصرناها منذ ولادتها ، وقد علمتنا الكثير واستفدنا كثيرا من الثقافة والخبرات

التي قدمت لنا ، يقظة الضمير ، والحاسبة ، والامانة والصدق والاخلاص ، وهذا يجعلنا نؤمء الي بحثك الذي نشر بعدد ايلول السنة التاسعة ١٩٦١ حول ديوان الشاعر العربي الكبير الاستاذ بدر شاكر السياب « انشودة المطر » والذي نظرت اليه بمفاهيم غريبة جدا ، فصائده كلها صورا تراكمية في ذهن تجريدي مطلق ، وانها قصائد لا رحم ولا اوصال لها تستثير القارئ بانفعال حماسي ، عصبي سياسي ، وحتى قصيدته « مدينة بلا مطر » التي تناولها الاستاذ محيي الدين محمد في عدد الآداب الثاني عشر ١٩٥٩ ، « رموز ترميمة قديمة » ووصفها بانها عمل عظيم « والعمل العظيم يعلن عن نفسه ، ويكشف رواده لحظة وحيدة وعبقرية ، وهذا العمل الشعري الجدير بالدراسة ، سيظل الي اجيال بعيدة مقياسا لارتباط الوعي والاخلاق والجمال بالحنس البطولي والانساني والاسطوري في الفرد الشرقي الحديث . »

هذه القصيدة العميقة الجيدة قلت عنها انت يا استاذ ايليا « قصيدة « مدينة بلا مطر » اذ تكنى الشاعر ببابل عن العراق ، بتموز ثمن الحرية ، وحيث اقام جنازة ومناحة ستر بهما عجزه عن الرؤيا الصادقة التي تمثل شاشة تعكس عليها ابعاد الوجود . »

وبعد انه لاكيد ان الذي يقول هذا عن شعر السياب سيقول اكثر من ذلك في سياق الدفاع عن الدكتور احسان عباس . ولكن العبرة ليست في الاقوال التي ترمى على عواهنها ، وانما العبرة في وعي قراء الآداب الذين يميزون ويقراون ويفهمون وبهضمون ويستوعبون ، ومن حقهم بعد ذلك ان يتتبعوا ويراجعوا ويحاسبوا ويحتضنوا كتابهم الذين يمدونهم بالفداء الصالح .

مع احترامي في النهاية وتقديري للاستاذ ايليا الحاوي .

حسب الله الحاج يوسف

بور سودان

ترقبوا

عدد الآداب الممتاز

الذي يصدر في مطلع العام الجديد ١٩٦٢
في موضوع :

الاتجاهات الفلسفية

في الادب المعاصر

يشترك في تحريره نخبة من مفكري الطبيعة
في الوطن العربي